بصائر المعرفة القرآنية
قرآن يتلى لإنسانية به ترقى

غريب القرآن

من كتاب (الأساس والتنوير في أصول التفسير)

أ.د. عبد السلام مقبل المجيدي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن والدراسات القرآنية

الأصل الثاني: غريب القرآن

ويندرج تحت هذا الأصل المباحث الآتية:

المبحث الأول: تعريف الغريب وأسبابه

المبحث الثاني: أقسام الغريب

المبحث الثالث: منشأ الغرابة

المبحث الرابع: أفضل الشروح لغريب القرآن

المبحث الأول: تعريف الغريب وأسبابه

تعريفه: الغريب من غَرَب إذا بَعُد، وهو الغامض من الكلام.

واصطلاحًا: هو العلم المختص بتفسير الألفاظ الغامضة عند بعض المخاطَبين في القرآن الكريم، وتوضيحِ معانيها بما جاء في لغة العرب.

ولكن: كيف يوجد الغريب في القرآن مع أنه نزل بلسان عربي مبين؟

إن تصور ذلك يكون بالوقوف على أسباب الغرابة التي تنتاب الألفاظ وهي كالآتي:

إما أن يكون السبب عدم معرفة بعض الأقوام الذين يسكنون بعيدًا عن المنطقة العربية المركزية (الحجاز) معاني بعض الألفاظ.

وإما أن يكون ضعف اللغة عند الناس مع تقدم الزمان والبعدِ عن زمن أنوار النبوة، "فكلما بعدت أنوار النبوة زادت ظلمات الجاهلية"، فالغرابة هنا ليست مطلقة ولا عامة بل هي نسبية، أي: قد يكون اللفظ غريبًا بالنسبة لبعض السامعين دون بعض، مع أن الكلمات التي اصطُلِح عليها بالغريبة ربما كانت من أفصح الكلمات وأجملها في موضعها؛ ولذا قال ابن الهائم المصري رحمه الله: «ولا شك أن الغريب يقابله المشهور، وهما أمران نسبيان، فرُبَّ لفظٍ يكون غريبًا عند شخصٍ مشهورًا عند آخر»[1].

ماذا نعني بكلمة (غريبة)؟ هل نعني أنها مستنكرة عند بعض الناس استنكارًا يخرجها من حيز اللغة؟

كلا! فليس شيء من الألفاظ القرآنية بمستنكر، ولم ينقل لنا المسلمون ولا أهل الكتاب ولا المشركون أن العرب اعترضت في زمن فصاحتها على لفظةٍ قرآنيةٍ واحدة من الناحية اللغوية.

قد يقال: لربما اعترض بعض المعاصرين للنبي ﷺ على لغة القرآن، ولكن التاريخ يكتبه الغالبون، والذين تغلبوا هم المسلمون، فربما تعصب المسلمون، فلم ينقلوا ذلك؟

والجواب عن ذلك من وجوه:

أولاً: لو أخفاه المسلمون لأظهره المتربصون، وقد نفي بنو النضير إلى الشام، وبقي اليهود في اليمن، فلم ينقل عنهم شيء من ذلك، كما أن بقايا الدول التي عاصرت المسلمين في الروم وفارس

---

(١) التبيان تفسير غريب القرآن (ص: ٤٨٥).

ما زالت موجودة، ولم ينقلوا ذلك مع حرص الطاعنين منهم على نقل كل ما يؤدي إلى الطعن في القرآن الكريم.

ثانيًا: اعترض المشركون واليهود على القرآن اعتراضات كثيرة من الناحية المعنوية، ونقلها لنا القرآن تفصيلاً، فقالوا مثلاً: ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِ نَفۡسِيٓۖ﴾ [يونس: ١٥]، وفي أول سورة الفرقان نقل الله ﷻ لنا كثرة مما قالوه وأشاعوه، وينقلها الله ﷻ بألفاظها بدقة متناهية، ولكن لم ينقل الطعن في عربية القرآن، بل كان اعتراضهم في باب السمعيات على الإلهيات والنبوات وأمثالها، مثل مبدأ التوحيد الذي يرفضونه، وعلى مبادئ العدل والإحسان، فقد أبوا مثلاً المساواة بين العربي والعجمي، والأبيض والأسود... أما من الناحية اللغوية فقد بلغ إعجابهم بالقرآن الكريم حدًّا وصل إلى أن سموه سحرًا.

ثالثًا: نقل لنا الصحابة ﷺ أخبارًا بدقة متناهية تؤكد هذه الحقيقة المسلمة، ومنه قول أَنَس ﷺ ق: كَانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ، وَقَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَعَادَ نَصْرَانِيًّا، فَكَانَ يَقُولُ مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إِلاَّ مَا كَتَبْتُ لَهُ، فَأَمَاتَهُ اللَّهُ ﷻ فَدَفَنُوهُ فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَقَالُوا هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا فَأَلْقَوْهُ ، فَحَفَرُوا لَهُ فَأَعْمَقُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَقَالُوا هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ فَأَلْقَوْهُ، فَحَفَرُوا لَهُ وَأَعْمَقُوا لَهُ فِي الأَرْضِ مَا اسْتَطَاعُوا، فَأَصْبَحَ قَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ فَأَلْقَوْهُ[(١)].

فهذا كله يدل على دقة نقل الصحابة ﷺ، فلو طعن المشركون في عربية القرآن لتناقلوا هذا على أوسع نطاق.

الغرابة عند مصطفى صادق الرافعي ﷺ:

الغرابة سببها ما ذكرناه، فيعود إلى جهل المتأخرين بمعاني تلك الألفاظ الغريبة عنهم.. الغرابة هنا بسبب جهل سامع لا بسبب اللفظة من حيث هي، ولذا رأى مصطفى صادق الرافعي ﷺ أن الألفاظ الغريبة هي الألفاظ المستحسنة في التأويل، بحيث لا يستوي في العلم بها أهلُها وسائر الناس[(٢)]، فحاصل ما أراده ﷺ أن الغريب معناه: النادر الحسن نحو غريب اللؤلؤ، وقد ذكروا أن المفردات الغريبة نحو سبعمائة لفظة.

ومصطلح (الغريب) ليس ذمًّا له، وإنما بيانٌ لنسبته إلى من جهل كلمةً من الكلمات، ولحسنه من حيث قلة استعماله، ومثال ذلك: إن جاءك زائر يزور صاحبك الذي تجلس بجواره، فأنس به صاحبك، وأنس هو بصاحبك، ثم مضى، فقلت لصاحبك: من هذا الغريب؟

---

(١) البخاري (٣٦١٧).

(٢) إعجاز القرآن ص٥٧.

فهو غريب بالنسبة لك، وفوجئت بأن صاحبك يقول لك: هذا الرجل العبقري المتفوق في الدراسة، والتجارة فلان، ولكنك لا تعرفه، فهل كونه غريبًا عنك يعني التقليلَ من مكانته ومنزلته؟

الجواب: لا! والذي ينبغي أن تحاول أنت معرفة الألفاظ الغريبة عنك لتزول غرابتها.

المبحث الثاني: أقسام الغريب

يمكن تصنيف الغريب إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: غريب الكلمة:

وهو ما استعمل بقلة في القرآن الكريم، وهو قليل الاستعمال في لغة العرب، أو قليل الاستعمال في قبيلةٍ دون قبيلة مع فصاحته وجزالته، نحو: كُبَّارًا، سِجِّيل، وقَب، قسورة، لا يلتكم،

وَسَقَ[١]، ونحو: أنا منك بريء، وبَراء فالأولى لغة تميم وسائر العرب، والثانية لغة الحجاز وكلاهما في القرآن[٢].

ومن أمثلة هذا النوع من الغريب:

قول الله تعالى ذكره: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج: ٣٧]، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: العزون: الحِلَقُ الرقاق (أي عندما يتحلقون حِلقًا صغيرة متفرقة). واستدل بقول عبيد بن الأبرص:

فجـــاؤوا يهرعـــون إليـــه حـــتى يكونـــوا حـــول منـــبره عزينـــا[٣]

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ما كنت أدري ما قوله تعالى جَدُّه: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]، حتى سمعت ابنة ذي يزن الحميري وهي تقول: تعال أفاتحك، يعني: أقاضيك[٤]، وفي سورة السجدة: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [السجدة: ٢٨]، يعني: متى هذا القضاء؟ وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦]، وقوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١][٥]، وعند التأمل ستجد أن كلمة الفتح هنا أعمق وأقوى وأقوم من كلمة القضاء، ولكن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أراد تفسير الكلمة بما يقاربها معنى.

القسم الثاني: غريب التقييد: وهو التقييدات التي لا يدرك بعض المتأخرين حقيقة معناها لعدم السعة في علوم العربية:

كقوله تعالى جده: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنبياء: ١١٢]، فالمفردات الأربع لهذا التركيب ليست غريبة، بل الغريب الذي ربمااستنكره سامعٌ ولم يفهم المراد هو التركيب في ذاته، فيقول: وهل يحكم ﷻ بالباطل حتى يُقَيِّد السائل طلبَ حكمه بأن يكون بالحق؟

هنا نقول للسائل:

لا بد أن تدرك علوم العربية، وينبغي أن تفهم أصولَ التفسير وقواعدَه لتدرك ما خفي عنك وأَشكل عليك، فهذا الموضعُ ينتمي إلى الغريب باعتبار غرابة الاستعمال على المتأخرين، ونقول للسائل أيضًا: يساعدك هنا أن تتعرف إلى علم المعاني؛ إذ تجدُ فيه بابًا يعقده أهل العلم، فيتكلمون فيه عن المساواة والإيجاز والإطناب، كما أنك ينبغي أن تتعرف في قواعد التفسير إلى الفرق بين الصفة الإيضاحية والتأسيسية، فعندما يطلب السائل الصالحُ من ربه أن يحكم، فهو يسأله أن يفصل بين الصالحين والمتآمرين المجرمين، حيث ذكر الله تعالى مجده الفريقين قبل هذه

---

(١) التحرير والتنوير (٢١٩/٢٦).

(٢) إعجاز القرآن (ص: ٥٢).

(٣) الإتقان في علوم القرآن (٦٨/٢).

(٤) تفسير الطبري (٥٦٤/١٢، ٥٦٥).

(٥) البرهان في علوم القرآن (٢٩٣/١).

الآيةِ طويلاً، ومما قاله عن الصالحين: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وقد ذكر الله ﷻ المجرمين قبل ذلك وبعد ذلك، وختم السورة بهذه الآية، وبدلاً من أن يُعَلِّمَ الله ﷻ الإنسانَ الصالحَ المظلومَ أن يقول: رب احكم، علَّمه أن يُطنب – أي يُفصِّل– في الكلام، فيقول: رب احكم بالحق، والإطناب في الدعاء من أفعال أولي الألباب، والمشتاقين إلى أن يكونوا في كنف الوهاب، ويبين الأخضري ﷺ الفرق بين المساواة والإيجاز والإطناب، فيقول[1]:

١٤٠ تأديـــةُ المعـــنى بلفـــظٍ قَـــدْرِهِ هِـــيَ المســـاواةُ كَـــ "سِـــرْ بِـــذِكرِهِ"

١٤١ وبِأقـــلَّ مِنْـــهُ إيجـــازٌ عُلِـــمْ وَهْـــوَ إلى قَصْـــرٍ وَحَـــذفٍ ينْقَسِـــمْ

١٤٣ وعكســـه يُعـــرَفُ بالإطنـــابِ كَـــ"الزمْ رعـــاكَ اللهُ قَـــرْعَ البـــابِ"

١٤٤ يجـــيءُ بالإيضـــاحِ بَعْـــدَ اللَّـــبسِ لِشـــوْقٍ اوْ تَمَكُّـــنٍ في الـــنّفسِ

١٤٥ وجـــاءَ بالإيغـــالِ والتـــذييلِ تكريـــرٍ اعـــتراضٍ اوْ تكميـــلِ

فكلمة ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أفادت التلذذَ في الدعاء بزيادة ذكر صفةٍ للرحمن، وأفادت التشوق لوقوع الحق بعد أن تحول الحكمُ في الأرض إلى ظُلْمٍ، وصارت التشريعات تمرر الظلمات في الحياة الإنسانية، وأفادت الإيغال في شعور المؤمن بتلك الصفة العظيمة للرحمن.

وكذلك ينبغي أن نعلم أن التقييد هنا جاء للإيضاح والثناء لا للتأسيس، أي احكم بالحق، وأنت لا تحكم إلا به؛ وغيرك لا يحكم به كما تفعل أنت، فمن ذا الذي يطلع على خفايا الصدور، أو يحكم فيما يتعلق بالذرة مهما بلغ عدله إلا الله ﷻ الذي يحكم بالحق؟

وفي السورة ذاتها التي ورد فيها هذا الأسلوب في الطلب بين الله دقة حكمه بالحق، فقال ﷻ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

ملحوظة: ما الفرق بين الإطناب والنشر؟

الجواب: الإطناب هو تفصيل استلزمه ما سبقه، والنشر: تفصيل لم يستلزمه ما سبقه.

وهذا القسم يتنازعه مجموعة علوم قرآنية هي: المشكل، والمتشابه، والغريب.

القسم الثالث: غريب التصريف: وهو العائد إلى اختلاف تصريف بنيته الداخلية:

والتصريف: هو ما يُلحِقُ الكلمةَ ببنيتها، وهو نوعان:

النوع الأول من التصريف: جعل الكلمة على صيغٍ مختلفةٍ بضروبٍ من المعاني، وينحصر في التصغير والتكبير، والمصدر، واسمي الزمان والمكان، واسمِ الفاعل، واسمِ المفعول، والمقصور والممدود:

(١) الجوهر المكنون في صدف الثلاثة المتون، للأخضري (ص: ٣٣).

فمن أمثلته ما جاء على وزن فعيل، كخليفة فإنها تأتي بمعنى الفاعل (خالِف يَخْلُف مَن قبله) وبمعنى المفعول (مخلوف يخلفه من بعده)، ولهذه الكلمة معانٍ أخر.

ومن أمثلته ما جاء على وزن مفعل بفتح الميم وضمِها، مثل: مدخل في قوله تعالى شأنه: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء:٣١].

ما الفرق بين: مَدخل، ومُدخل هنا؟

وعد الله –جل مجده– مجتنبَ الكبيرة بأمرين:

الأول: تكفير السيئات، والتكفير التغطية والستر، وذلك يعني سَتْرَها عن الخلق، وعدم إيقاع العقوبة، **والثاني**: المدخل الكريم، وله معنيان (صفتان):

المعنى الأول: تبينه قراءة نافع وأبي جعفر[(١)]: ﴿مَّدْخَلًا﴾ (بالفتح)، وهذه القراءة تبين لنا أن مكان دخولهم سيكون كريمًا، ووصْفُه بالكريم يقتضي أن يكون نفيسًا في نوعه يجذب الأنظار في طيبه وحسنه، مكرَّمًا بنفي الآفات والعاهات عنه، وبارتفاع الهموم والأحزان ودخول الكدر في عيش من دَخله.

المعنى الثاني: تبينه قراءة الجمهور ﴿مُّدْخَلًا﴾ (بالضم)، أي: سيكون إدخالهم كريمًا، فهذه القراءة تتكلم عن هيئة إدخالهم، أي سيكون لائقًا بهم في أعلى درجات التشريف، فوَصَفَ الْإِدْخَالَ بِالْكَرَمِ بِمَعْنَى أَنَّ ذَلِكَ الْإِدْخَالَ يَكُونُ مَقْرُونًا بِالْكَرَمِ، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥] عَلَى خِلَافِ مَنْ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [الْفُرْقَان: ٣٤][(٢)].

النوع الثاني من التصريف: تغيير الكلمة لمعنى طارئ عليها، كالزيادة والحذف، والإبدال، والقلب، والإدغام، فمن الغريب الذي يَرجع إلى هذا النوع قوله تعالى ذكره: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ [مريم : ٧٤].

فكلمة ﴿وَرِءْيًا﴾ **قرأها** الجمهور من العشرة بالهمز، فالهمز مِنْ رُؤْيَةِ الْعَيْنِ، فِعْلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ كَالطِّحْنِ وَالسِّقْيِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الرِّئْيُ الْمَنْظَرُ، وَقَالَ الْحَسَنُ رحمه الله: مَعْنَاهُ صُوَرًا.

وقرأها بتشديد الياء من غير همز قالون وابن ذكوان وأبو جعفر: ﴿ريًّا﴾[(٣)].

فماذا يكون أصلها؟

يحتمل أَنْ يَكُونَ أصل الياء المشددة همزة مِنَ الرؤية بمعنى الْمَنْظَرِ، سُهِّلَتْ هَمْزَتُهُ بِإِبْدَالِهَا يَاءً ثُمَّ أُدْغِمَتْ الْيَاءُ فِي الْيَاءِ، وَيُحْتَمَل أَنْ يَكُونَ مِنَ الرَّيِّ ضِدِّ الْعَطَشِ؛ لِأَنَّ الرَّيَّانَ مِنَ الْمَاءِ لَهُ مِنَ الْحُسْنِ وَالنَّضَارَةِ مَا يُسْتَحَبُّ ويستحسن.

---

(١) ينظر: النشر في القراءات العشر (٢/٢٤٩).

(٢) ينظر: تفسير الرازي (١٠/٦٤).

(٣) ينظر: النشر في القراءات العشر (١/٣٩٤).

وَقَرَأَ أَبُو بَكْرٍ فِي رِوَايَةِ الْأَعْمَشِ عَنْ عَاصِمٍ (وَرِيئًا) بِيَاءٍ سَاكِنَةٍ بَعْدَهَا هَمْزَةٌ[وهي قراءة شاذة] وَهُوَ عَلَى الْقَلْبِ وَوَزْنُهُ فِلْعًا، وَكَأَنَّهُ مِنْ رَاءَ. قَالَ الشَّاعِرُ[١]:

وَكُـــلُّ خَلِيـــلٍ رَآنِي فَهُـــوَ قَائِـــلٌ مِـنْ أجـل هَـذَا هَامَـةُ الْيَـوْمِ أَوْ غـد

فاختلف التصريف، ونتج عنه ثلاثة معانٍ: من النظر، من الرِّي بكسر الراء، ومن المراءاة.

وفائدة التصريف: حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد، فالعلم به أهم من معرفة النحو؛ لأن التصريفَ نظرٌ في ذات الكلمة، والنحو نظر في عوارضها[٢].

ومما يبين أهميتَه في باب الغريب الأمثلةُ الآتية[٣]:

المثال الأول: كلمة (وجد) كلمةٌ مبهمة، فإذا صرفناها اتضحت.

فنقول في المال: وَجَدَ وُجْدًا، أي: اسْتَغْنَى ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾ [الطلاق: ٦]، ومن ذلك قولهم: الحمدُ للهِ الغَنِيِّ الواجِدِ، أي المستغني عن غيره[٤]، ومنه قول النبي ﷺ: «لَيُّ الْوَاجِدِ يُحِلُّ عِرْضَهُ وَعُقُوبَتَهُ»[٥] ، والمقصود بـ(ليّ الواجد) أي: مماطلة الغني الذي يُطلب ليقضي الدين الذي عليه للآخرين، فيلوي الحديث متلاعبًا لئلا يعطي الناس حقوقهم.

ونقول في **الضالة: وَجَدت** الشيء **أجِده وِجْدانا.**

ونقول في **الغضب: وجِدت** على فلان **أُوجِد مَوجِدة.**

وفي **الحزن: وجَد به الحُزْنِ وَجْدًا.**

ووَجَدَ ما طَلب وُجودًا.

المثال الثاني: (قَسَطَ) تختلف عن (أقسط) التي دخلت عليها همزة السلب، إذ (قسط) بمعنى جار، فقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥]، أي: الجائرون الظالمون، ثم أدخلنا عليها الهمزة، فأزالت الجور (أقسط) بمعنى أزال الظلم أي عدل، فقوله تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩] أي: العادلين.

المثال الثالث: قال الزمخشري رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿سوَّلَ لهم﴾(محمد:٢٥) "سهَّل لهم ركوبَ المعاصي من (السول) وهو الاسترخاء، وقد اشتقه من السؤل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعًا"[٦]، وقال أيضًا: "قد زلت فيها الأقدام قديمًا، وما أوتي الزالّون إلا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير حتى يعلموا أن في عِداد العلوم الدقيقة علمًا لو قدره حق قدره لما خفي عليهم أن

---

(١) البحر المحيط في التفسير (٢٩١/٧).

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢٩٧/١).

(٣) انظر: الصاحبي (ص:١٤٣)، المزهر في علوم اللغة (١/ ٢٦٠)، البرهان في علوم القرآن (٢٩٧/١)، الإتقان (٢/ ٤٧٧).

(٤) وفي وصف الله ﷻ بهذه الصفة خلافٌ.

(٥) أبو داود (٣٦٢٨)، وحسنه الأرناؤوط والألباني، وأخرجه البخاري معلقًا (١٥٥/٣)، قال ابن حجر:" وَصله أَحْمد، وَأَبُو دَاوُد، وَالنَّسَائِيّ، وَغَيرهم وَأخرجه الْبَيْهَقِيّ من الْوَجْه الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الْمُؤلف". فتح الباري لابن حجر (١/ ٤٢).

(٦) الكشاف (٣/ ٤٥٨).

العلوم كلَّها مفتقرةٌ إليه وعيال عليه؛ إذ لا يحل عُقَدَها الموربة، ولا يفكُّ قيودَها المُكربة إلا هو، وكم آية من آيات التنزيل، وحديث من أحاديث الرسول وقد ضيم وسيمَ الخَسْف بالتأويلات الغثة، والوجوه الرثة؛ لأن مَن تأول ليس من هذا العلم في عير ولا نفير، ولا يعرف قبيلاً منه من دبير"[(١)] يريد به علم البيان، ومثله علم التصريف.

ويراجع ما قاله الراغب في قوله تعالى ﴿فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ﴾ [البقرة:٧٢][(٢)].

القسم الرابع: غريب التعدي: وهو العائد إلى اختلاف التعدي بالحروف:

مثل قوله تعالى: ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا﴾ [الإنسان: ٦]، فالمعتاد في عموم المخاطبة أن يقال: يشرب منها، وليس (بها)، وإنما عدَّاه بالباء ليتضمن معنى: الامتلاء، فهذا أسلوبٌ بلاغي مستقل، ويكون المعنى: يشرب منها، فيَروى بها.

ألا تنفر النفوس من هذه التسميات: "غريب القرآن، ومشكل القرآن؟

الجواب: هذه تسميات اصطلاحية ترجع إلى الناس لا إلى القرآن في ذاته، ولذا أطلق بعضهم على (غريب القرآن) مصطلح: "وحشي"، ويعنون بذلك أن الناس قد ابتعدوا عن لغة القرآن خاصة، حتى استوحشوا منه، وحاشا أن يكون منه استيحاش، ولكنها طبيعة الناس مع هجوم التجهيل الذي ساد الأمة الإسلامية في عصور الانحطاط، وغذَّاه عصر الاحتلال الذي كرَّست فيه الجيوش الغازية جهودها لإبعاد المسلمين عن لغتهم، بينما نجد أن معنى كلمة (وحشي) أي ما لم يألفه الإنسان، ولا شك أن المرء إذا هجر القرآن ولغتَه استوحش، وممن أطلق هذا المصطلح ابنُ الأثير ﷺ، حيث قال: "وقد خفي الوحشيُّ على جماعة من المنتمين إلى صناعة النظم والنثر، وظنوه المستقبح من الألفاظ، وليس كذلك، بل الوحشي ينقسم قسمين:

أحدهما: غريبٌ حسن، **والآخر**: غريب قبيح، وذلك أنه منسوب إلى اسم الوحش الذي يسكن القفار، وليس بأنيس، وكذلك الألفاظ التي لم تكن مأنوسة الاستعمال، وليس من شرط الوحش أن يكون مستقبحًا بل أن يكون نافرًا لا يألف الإنس..."[(٣)]، ويقرِّبُ لك ذلك أن الغزال والمهاة [وهي البقرة الوحشية] وحشيان لكنهما من أجمل المخلوقات التي يود المرء لو رآها، وحتى تُزال الوَحشة فيجب معرفة لغة القرآن، وتعاهده، وعدم هجره.

---

(١) الكشاف (٣/ ١١٧).

(٢) مفردات القرآن (١/ ٤٦٩)، وانظر: البرهان في علوم القرآن (٢٩٨/١).

(٣) المثل السائر (١/ ١٦١).

المبحث الثالث: منشأ الغرابة

من خلال السابق وضح أن منشأ الغرابة يعود إلى الآتي[1]:

١) اختلاف لغات العرب.

٢) استعمال القرآن له كاصطلاح شرعي خاص: كألفاظ الإيمان والإسلام والصلاة.

٣) دلالة السياق على معنى خاص للكلمة، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٨] أي بيناه فاعمل به، وهذا أحد معاني الآية، ومن هذا النوع قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥١]، فإن بعض المفسرين ذهب إلى أن المعنى: إذا تلا، والصحيح: إذا تمنى صلاح الناس، وعمل لذلك فإن الشيطان يشوش عليه، ويلقي في أمنيته.

المبحث الرابع: أفضل الشروح لغريب القرآن

من أفضل شروح الغريب ما يأتي:

---

(١) إعجاز القرآن (ص:٥٧).

أولها: ما أُثِرَ وصحَّ عن ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من طريق علي بن أبي طلحة رحمه الله، ولكن عليًّا لم يرو عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مباشرة؛ إذ بينهما مجاهد بن جبر رحمه الله، وأحيانًا يذكر أن الذي بينهما عكرمة رحمه الله، وأحيانًا يذكر أن الذي بينهما سعيد بن جبير رحمه الله فذهب الانقطاع في كل الأحوال، وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة لو رجلٌ رحل فيها إلى مصر قاصدًا ما كان كثيرًا[(١)]، وقد اعتمد عليها البخاري رحمه الله في صحيحه، دون التصريح باسم ابن أبي طلحة.

ثانيها: أجوبة ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن أسئلة نافع بن الأزرق الخارجي:

وذكر معظم هذه المسائل الإمامُ السيوطي في الدر المنثور في مواضع متفرقة بحسب الكلمات، وفي الإتقان وذكر أنه رواها ابن الأنباري في الوقف والابتداء بإسناده، وأسند الطبراني منها مجموعة في معجمه الكبير، وأفردت الدكتورة المحققة بنتُ الشاطئ عائشة بنت عبد الرحمن -رحمهم الله جميعًا- هذه الأسئلة بتأليف مستقل، وضعف إسنادها المحققون، وذلك لا يمنع من الإفادة منها كما هو معلومٌ في قواعد التحديث، ومن أمثلتها:

قال: أخبرني عن قوله : ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النبأ:٣٤] قال: الكأس الخمر، والدهاق الملآن، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم أما سمعت قول الشاعر:

أتانا عامرٌ يرجو قِرانا فأترعنا له كأسًا دهاقًا[(٢)]

ولا بد من أن نطرح هنا سؤالاً: هل هذا يجعل الشعر أصلاً للقرآن؟

الجواب: لا! بل القرآن نزل بلسان عربي مبين، فيُرجع في معرفة لغته إلى مظان اللغة، ومن أهم مصادر اللغة الشعر، كما قال ابن الأنباري رحمه الله في مسائل نافع بن الأزرق رحمه الله: "فيه دلالة على بطلان قول من أنكر على النحويين احتجاجَهم على القرآن بالشعر، وأنهم جعلوا الشعر أصلاً للقرآن، وليس كذلك وإنما أراد النحويون أن يثبتوا الحرف الغريب من القرآن بالشعر؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف:٢]، وقال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٥]"[(٣)] فحقيقة الأمر بيانٌ للغة باللغة.

---

(١) فتح الباري (٨/ ٤٣٨)، تفسير القرطبي (١٢/ ٧٥).

(٢) المعجم الكبير (١٠/ ٢٤٨)، الإتقان (١/ ٣٤٧)، الدر المنثور(٨/ ٣٩٨)، وقال الهيثمي:" رواه الطبراني، وفيه جويبر، وهو متروك". مجمع الزوائد (٦/ ٣١٠).

(٣) البرهان في علوم القرآن (١/٢٩٤).

كيف يُعرف الغريب؟

بمعرفة اللغة نحوها وصرفها ونظمها كما قَعَّد ذلك ابن عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فقال: «إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه من الشعر؛ فإنه ديوان العرب»[(١)]، وقال: «إذا قرأ أحدكم شيئًا من القرآن فلم يدر ما تفسيره، فليلتمسه في الشعر؛ فإنه ديوان العرب»[(٢)].

من كتب غريب القرآن:

أولاً: غريب القرآن، ومجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ) على خلاف، وقال عنه القلقشندي: هو أول من صنف في غريب القرآن[(٣)].

ثانيًا: كتاب (غريب القرآن) لأبي مُحَمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينوري (ت ٢٧٦هـ)، وهو من أمتع كتب غريب القرآن حققه الشيخ أحمد صقر –رحم الله الجميع–، ولنأخذه أنموذجًا في معرفة محتويات كتب الغريب، فقد جعله مقصورًا على الغريب، غيرَ خالط إياه بمسائل العربية، التي ضمّن بعضها كتابه: (تأويل مشكل القرآن)، ورتَّبه على ثلاثة أقسام:

١) في ذكر أسماء الله الحسنى وصفاته، وفسر فيه (٢٦) حرفًا.

٢) في ألفاظ كَثُر ترددها في القرآن، فلم يُر بعضُ السور أولى بها من بعض، وفسر فيه (٤٠) حرفًا.

٣) سائر الكتاب، الذي رتبه على ترتيب السور في المصحف.

وقد ذكر ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن كتابه "هذا مستنبط من كتب المفسرين، وكتب أصحاب اللغة العالِمين"، واختار في كل حرف "أولى الأقاويل في اللغة، وأشبهها بقصة الآية"، **نابذًا منكَر التأويل، ومنحول التفسير**، وكان غرضُه في الكتاب الاختصارَ، والإكمال، فلم يحشُ كتابه بالنحو، وبالحديث، والأسانيد: حتى لا يطول الكتاب، فيقطع منه طمعَ المتحفظ، وبغيةَ المتأدب"[(٤)].

ثالثًا: كتاب: (تفسير المشكل من غريب القرآن) لمكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ).

رابعًا: غريب القرآن المسمى: (نزهة القلوب) لأبي بكر مُحَمَّد بن عُزير السجستاني (ت٣٣٠هـ).

خامسًا: كتاب: (مفردات القرآن) لأبي القاسم الحسين بن مُحَمَّد الراغب الأصفهاني (ت في القرن الخامس الهجري) على خلاف، وهو أشهر كتب هذا الفن.

سادسًا: كتاب: (عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ) لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف السمين الحلبي (ت٧٥٦هـ).

---

(١) المستدرك (٣٨٤٥)، وقال:" صحيح الإسناد"، ووافقه الذهبي، ونقله في أقاويل الثقات (ص: ١٧٤)، ونقله أيضًا في إيضاح الدليل (ص:١٣٤)، وقال ابن حجر:" وَأَسْنَدَ الْبَيْهَقِيُّ الْأَثَرَ الْمَذْكُورَ عَن ابن عَبَّاسٍ بِسَنَدَيْنِ كُلٌّ مِنْهُمَا حَسَنٌ". فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٤٢٨).

(٢) شعب الإيمان (٢١٢/٣)، وضعف المحقق إسناده، ورواه في السنن الكبرى (٢٤١/١٠)، وقال: هذا هو الصحيح موقوف.

(٣) صبح الأعشى (١/ ٤٧٨).

(٤) من مقدمة ماتعة لكتاب مفردات القرآن للفراهي (ص: ٤٧)، والمقدمة لمحقق الكتاب وشارحه مُحَمَّد أجمل أيوب الإصلاحي، وفيها من التفاصيل الغرِّ الطوال ما تشد لأجله الرِّحال.

سابعًا: (التبيان في تفسير غريب القرآن) لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن مُحَمَّد بن الهائم (ت: ٨١٥هـ)، وهو كتابٌ ماتع، رتب فيه كتاب (غريب القرآن) لأبي بكر السجستاني، المتقدم آنفًا

ثامنًا: مفردات القرآن لعبد الحميد بن عبد الكريم الأنصاري الفراهي (ت١٣٤٩هـ)، وهو أغزر كتب الغريب فوائد، وأعظمها تحقيقًا لولا أنه قُصر به العمر عن إكماله، فقَصَّر من ذرعه، وقصر أدرعه.

تاسعًا: (المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم) لفضيلة الدكتور مُحَمَّد حسن جبل (ت١٤٣٦هـ)، وهو يُرجِع المفردات لأصولها، وأصله رسالة (دكتوراه)، ويعد من الكتب المعاصرة المهمة ذات التحقيق المبدع، ولذا اخترته على غيره، ولكنه لا يغني عن معجم مقاييس اللغة لابن فارس، على أنك تجد ابن فارس ينشط أحيانًا لتفصيل الكلمة كما في كلمة (عفو)، وأحيانًا يفتر فيمر على الكلمة مرًّا.

أسئلة تقويمية:

س١: عرف الغريب لغة واصطلاحًا.

س٢: كيف يوجد الغريب في القرآن مع أنه نزل بلسان عربي مبين؟

س٣: ما مفهوم الغريب عند مصطفى الرافعي ﵀ ؟

س٤: اذكر أقسام الغريب. ومثِّل لكل قسم بمثال.

س٥: اذكر أنواع غريب التصريف، مع التمثيل لكل نوع.

س٦: وضح منشأ الغرابة.

س٧: اذكر أفضل شروح غريب القرآن.

س٨: كيف يُعرف الغريب؟